المُحاضرة ٢

1ـ تاريخ العلاقات الأدبيَّة .

إنَّ المنظّرين ومؤرّخي الآداب الغربيَّة والنّقّاد الأوروبيّين) بعامّة (كانوا يؤرّخون بداية آدابهم بالأدب الإغريقي) اليوناني (مع بعض الإشارات إلى الآداب الأُخرى)الشَّرقيَّة (منها ، كآداب وادي الرّافدين ووادي النّيل والهند وفارس والصّين... الخ ، ولكنَّ الكشوفات الحديثة أثبتت أنَّ هناك آداباً أُخرى أقدم من الأدب الإغريقي بما يقرب من ألف عام ، كالأدب العراقي القديم ، وأنَّ الأدب المصري كذلك ، وربَّما كانت بعض بدايات الأدب الهندي معاصرة أو أقدم بقليل من الأدب الإغريقي ، وقد وجد من خلال الدّراسات المختلفة أنَّ لملحمة) كلكامش (أثراً في إلياذة هوميروس وفي الأوديسة وفي مغامرات الاسكندر الأكبر ، فملحمة كلكامش أقدم ملحمة في العالم وهي تسبق الإلياذة بنحو1800 عام . ففيها موضوعات وأفكار لها ما يقابلها في الأدب الإغريقي ، هذا فضلاً عن أثر الأدب العراقي القديم في الأدب العبري ، وفي بعض نصوص التّوراة بخاصّة .

في الأدب العراقي القديم أنواع من النّصوص كالحكايات القصيرة وأشعار الغزل كالأشعار الَّتي نجدها في" أخذة كيش "وهي أقدم نصّ أدبي في العالم حتّى الآن ، ونجد كذلك بعض القصص المنسوبة إلى أيّوب الإغريقي لها أمثلتها السّابقة في أدب العراق القديم ، وأُخرى منسوبة إلى) إحيقار (الآشوري أو إلى إحدى الشّخصيَّات المعروفة باسم) لقمان الحكيم . (تسجّل هذه الأمثلة حالة من اللّقاءات الأدبيَّة بين

الحضارات القديمة ، وشهد العالم القديم أمثلة أُخرى ، كالأثر الإغريقي في الحضارة الرُّومانيَّة ، فقد احتلَّ الرُّومانُ الإغريقَ وانتصروا عليهم سياسيَّاً وعسكريَّاً ، ولكنَّ الإغريق انتصروا عليهم ثقافيَّاً عام146 ق . م وقد تبنَّى عدد من النُّقّاد والأدباء الرُّومان مقولات الإغريقيّين ، وحثُّوا النَّاس على اتّباعها ، واستمرَّ الحال كذلك إلى أن أصبحت اللُّغة اللَّاتينيَّة) لغة الرُّومان (في العصر الوسيط لغة الدّين والثّقافة والأدب ، وقد ظلَّ الأدب الأوروبي يدور في فلك رجال الدّين وتمجيد طبقة الفرسان والنُّبلاء . لقد قام الأدب الرُّوماني على مُحاكاة الأدب الإغريقي وهي المرَّة الثَّانيَّة الَّتي يظهر فيها مصطلح) المحاكاة (بعد أن ظهر في مُحاكاة الأدب الإغريقي للطَّبيعة إنَّ تلك الحقبة) عصر سيادة اللَّاتينيَّة (تمثّل أوَّل مظهر من مظاهر عالميَّة الأدب ، فقد ظلَّ الأدب كذلك طيلة القرون الوسطى إلى عصر النَّهضة في القرنين الخامس عشر والسَّادس عشر ، إذ استندت النَّهضة الأوروبيَّة على مبدأ مُحاكاة كلٍّ من الإغريق والرُّومان ، وهي) المحاكاة الثَّالثة (؛ وذلك عن طريق إحياء الكنوز الأدبيَّة القديمة) اليونانيَّة واللَّاتينيَّة (ومحاولة تقليدها والسَّير على منوالها في الآداب القوميَّة النَّاشئة على أساس ظهور لغات جديدة من رحم اللّاتينيَّة كانت في السَّابق لهجات كالفرنسيَّة والإيطاليَّة والاسبانيَّة والبرتغاليَّة... الخ ، وقد لعب العرب المسلمون دور الوسيط بين الأوروبيّين في إرثهم الثَّقافي في التّمثُّل بالأدب الإغريقي والرُّوماني ، إذ أنَّ القرون الوسطى الَّتي كانت في أوروبا مظلمة كانت الحضارة مشعَّة في بغداد ومؤثِّرة مستوعبة كثيراً من التُّراث الإغريقي والرُّوماني ممَّا جعل شكلَ العلاقات الأدبيَّة يتَّجه دائريَّاً يرثُ بعضُه بعضاً ويأخذ بعضُه من بعضٍ .

وقد شهد عصر النَّهضة الأوروبيَّة نزاعاً بين رجال الكنيسة ودُعاة النَّهضة ، فبينما روَّجَ دُعاة النَّهضة إلى مُحاكاة الآداب القديمة ، فقد واجهوا مقاومة من رجال الدّين ؛ لأنَّ الآداب القديمة في نظرهم وثنيَّة ، في حين استند دُعاة النَّهضة إلى الجانب الإنساني العامّ الَّذي تتضمَّنه تلك الآداب وإن كانت وثنيَّة ، وقد كانت الغلبة ـ دائماً ـ لدُعاة النَّهضة والتَّجديد ، ومن أكثر الجماعات الدَّاعيَّة إلى مُحاكاة الآداب القديمة جماعة من الشُّعراء الفرنسيّين) جماعة الثُّريَّا (السَّبعة ، منهم) دورا (و)رومنسار (اللَّذان يُعدَّان منظّري هذه الجماعة ، فقد عملوا على إحياء اللُّغة الفرنسيَّة والارتقاء بها عن طريق الاستعارة والابتكار في اللُّغة اللَّاتينيَّة من جهة ، ومن جهة أُخرى عن طريق إدخال أجناس أدبيَّة قديمة إلى الأدب الفرنسي ، وهذا أدَّى بطبيعة الحال إلى التَّأثُّر والتَّأثير وتبادلهما بين الآداب الفرنسيَّة والاسبانيَّة النَّاشئة ، ثُمَّ الانكليزيَّة والألمانيَّة ، وهكذا تُعدُّ هذه الاتّصالات من أقدم الصّلات الأدبيَّة التَّاريخيَّة ، وقد أوصلنا ذلك إلى) العصر الكلاسي (أو) الكلاسيكي (في الأدب الَّذي قام كلّيّاً على مُحاكاة الأدبين الإغريقي والرُّوماني ، وأنَّ المتتبّع لتاريخ العلاقات الأدبيَّة سيُحظى بأمثلة كثيرة جدَّاً ، من أهمِّها التَّأثيرات العربيَّة الإسلاميَّة المتمثِّلة بالقصص والحكايات ، كقصص) ألف ليلة وليلة (و) كليلة ودُمنة (، وشعر الغزل العُذري وأشعار الصّوفيَّة.. الخ إنَّ هذه العلاقات الأدبيَّة سواءٌ أكانت قديمة أم حديثة ليست أدباً مقارَناً ، ولكنَّها مادَّته أو إحدى موادِّه ، وإنَّنا بانتظار عوامل أُخرى أقرب إلى الأدب المقارَن أو أكثر تأثيراً في نشأته .